المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.59151/.v8i2.381

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2-6-2024
تاريخ القبول: 13-6-2024

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في الدراسات الإسلامية والإنسانية

# حوار مع د. أحمد قادم[1] حول الاستدلال بين البلاغة والمنطق

يحاوره: فَضيل ناصري[2]
fadilnassiri.1979@gmail.com

## ملخص

يتناول هذا الحوار مفهوم الحجاج والمفاهيم المحاقلة له كالاستدلال والجدل والحوار وغيرها من المفاهيم التي تتقاطع عند حدود التواصل الإنساني، وتشترك في إرادة التبليغ وجعل الآخر منصاعًا للقول ومتأثرًا به بوساطة اللغة، لكنها تختلف في الطرائق والأدوات نتيجة لاختلاف المقاصد من القول، والتشاكل بينها لا يصل حد الترادف، كما أن الاختلاف بينها لا يصل حد القطيعة. ويمكن للبلاغة أن تنتظم هذه الفروع المعرفية وأن تميز بينها في الآن نفسه ما دام القول فيها يرتبط بالمقام، وما دامت الغاية من الكلام هي التي تحدد مدلوله بالنظر إلى ما يحيط به. وحيث إن الكلام له معنيان: ظاهر وباطن، وحيث إن الباطن لا يستغني عن الظاهر إلا بدليل مسوّغ للانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني المستفاد من السياق، فإن الحوار المكتوب أو المنطوق يُصَنَّف محاورة أو جدالًا أو استدلالًا أو خطابة من خلال القصد الذي يتغياه المتكلم. وتقتضي هذه المفاهيم وجود شخصين متحاورين يحكمهما الاتفاق أو الاختلاف. فإن كان الكلام في مسألة اتفاقية فإن النقاش يكون حوارًا، وإن كان في مسألة خلافية، فإن النقاش يتحول إلى جدال أو حجاج حيث يكون الاختلاف في الرأي ويسعى كل طرف إلى الغلبة وإفحام خصمه. ولقد سعينا في هذا الصدد إلى التمييز بين المصطلحات لأجل إدراك الفروق بينها وتمييز مراتبها في القوة الاستدلالية والتفاعلية.

## الكلمات المفتاحية:

الحجاج، الاستدلال، الجدل، الخطابة، البلاغة.

(1) عميد كلية اللغة العربية بجامعة القاضي عياض.
(2) حاصل على الدكتوراه في تخصص البلاغة وتحليل الخطاب، كلية اللغة العربية – جامعة القاضي عياض.

للاقتباس: ناصري، فضيل، حوار مع د. أحمد قادم حول الاستدلال بين البلاغة والمنطق، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج8، ع2، 2024، 190 - 200.

© نشر هذا البحث بموجب ترخيص (CC BY-NC4.0) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص تنزيل البحث وقراءته والتصرف به مجانًا، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان إذا ما قد أُجري عليه أي تعديلات، ولا يمكن استخدام هذا البحث لأغراض تجارية.

OPEN ACCESS
Received: 2024-6-2
Accepted: 2024-6-13

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في
الدراسات الإسلامية والإنسانية

# Inference Between Rhetoric and Logic

**FADIL NASSIRI** [3]

fadilnassiri.1979@gmail.com

## Abstract:

This dialogue addresses the concept of argumentation and its related notions such as inference, debate, and dialogue, among other concepts that intersect at the boundaries of human communication. All these notions share the intent to convey a message and influence the listener through language, but they differ in methods and tools due to the varying purposes of speech. The similarities between them do not reach the level of synonymy, nor do the differences reach the level of disconnection. Rhetoric can encompass these branches of knowledge and distinguish between them at the same time, as long as the discourse is related to context and the purpose of the speech determines its meaning based on its surroundings. Given that speech has two meanings: an apparent and a hidden one, and since the hidden meaning cannot be understood without the apparent one unless there is justification for transitioning from the first meaning to the second derived from the context, the written or spoken dialogue is classified as a conversation, debate, inference, or rhetoric based on the speaker's intended purpose. These concepts require the presence of two interlocutors governed by agreement or disagreement. If the speech pertains to an issue of agreement, the discussion is a dialogue. If it pertains to a contentious issue, the discussion becomes a debate or argument where there is a difference of opinion, and each party seeks to prevail and refute the other. In this regard, we have endeavored to distinguish between the terms to understand the differences among them and to identify their ranks in inferential and interactive strength.

## Keywords:

Argumentation, Inference, Debate, Fluency, Rhetoric.

**Cite this article as:** NASSIRI, FADIL,Inference Between Rhetoric and Logic Journal of Namaa, Nama Center, Egypt, V 8, issue 2, 2024, 190 - 200.

© This research is published under an open license (CC BY-NC 4.0), which allows anyone to download, read and use the research for free, provided it is properly acknowledged, indicating if any modification has been made to it. This research shall not be used for commercial purposes.

**1- في مستهل هذا الحوار، أحب أن توضحوا مجمل الفروق والاشتراكات المتعقدة بين مفاهيم: الحجاج، والاستدلال، والبرهان، والجدل، والتواصل، والحوار، والتخاطب.**

- بدءًا شكرا لكم على هذه الاستضافة الكريمة، أما فيما يخص هذه المصطلحات فإن الحدود بينها متداخلة بعض الشيء لكن الوقوف عليها ممكن لمن يعرف جوهرها. وقد يكون (الحجاج) هو المشترك بين هذه المصطلحات التي يجب ضبطها حتى لا ينظر إليها الدارس غير المطلع على أنها شيء واحد من كثرة دورانها على الألسنة بطرق مختلفة والتعامل معها كأنها مترادفات.

وإذا رجعنا إلى الحجاج فإنه مأخوذ من استعمال الحجج، أي: الغلبة بالحجج، ولا يكون إلا حيث يكون اختلاف فكري بين الأشخاص، ومجاله هو المحتمل وليس اليقينيات. فالاختلاف في الرأي يؤدي إلى سعي كل طرف من الأطراف المختلفة في الموضوع إلى تقديم الحجج الدالة على صحة الادعاء بغية ترجيح كفة ادعائه وإقناع الخصم بذلك أو إفحامه أو تغيير اعتقاده. ولهذا السبب يقال إن الحجاج يقوم على إنشاء أو تغيير أو تثبيت الاعتقادات في النفوس عن طريق الأدلة والحجج المناسبة أو الداحضة.

وقد تكون هذه الأدلة قطعية أو احتمالية. فأما القطعية فتحسم النقاش ولا يمكن تجاوزها، وأما الاحتمالية فتحتاج إلى ما يعضِّدها وكلما كانت كثيرة كان الترجيح قائمًا وممكنًا.

وأما الاستدلال فمأخوذ من الدليل، أي: تقديم الدليل على صحة القول أو فساده. وعادة ما نحتاج إلى الدليل لتسويغ الدعوى أو نقيضها، وكلما كان الدليل قويًّا والاستدلال متماسكًا، أمكن للمستدِل أن يكسب الدعوى.

وأما البرهان فهو القسم الأعلى من أقسام المنطق، ولا تكون مقدماته إلا يقينية ونتائجه يقينية؛ إذ لا يمكن الاعتراض عليها أبدًا. ولهذا كان البرهان أقوى من غيره من أقسام المنطق التي هي: البرهان والجدل والخطابة والسفسطة والشعر. والدليل البرهاني الواحد أقوى من كل الأدلة الأخرى غير البرهانية. ويمكن للمحاجّ أو المستدل أن يحسم النقاش بالدليل البرهاني الواحد مهما كان عدد الأدلة الأخرى.

ذلك أن الدليل البرهاني لا يمكن الاعتراض عليه.

ففي قولنا: كل إنسان فانٍ

أرسطو إنسان

أرسطو فانٍ

نجد المقدمة: في قولنا: «كل إنسان فانٍ» لا يمكن الاعتراض عليها.

وكذلك النتيجة في قولنا: «أرسطو فانٍ». فإنما حتمية لا يمكن الاعتراض عليها. وعليه فإن الدليل البرهاني يحوز قوته من خلال يقينيته بخلاف الأدلة الأخرى التي تكون احتمالية واليقين غير المحتمل.

وأما الجدل: فمن جدلت الحبل إذا فتلته وجدلت المرأة شعرها إذا ضفرته. وتجادل الرجلان إذا أخذ أحدهما بالآخر يريد إسقاطه. والجدل من أقسام المنطق أيضًا ويأتي بعد البرهان، وتكون مقدماته مشهورة ونتائجه احتمالية. ولا يكون الجدل إلا حيث تكون المنازعة الفكرية. إلا أن الجدل لا يراد منه الإقناع، بل الغلبة وإفحام الخصم أمام الجمهور. ويتاح لكل طرف من المتجادلين أن يُدلي بدليله وأن يدحض أدلة خصمه مع احترام شروط النقاش التي يقتضيها السياق وهي بصفة مجملة: أن يكون المرء مهذبًا ومُؤدبًا ومنصتًا ومنصفًا، لأن الغاية من الجدل هي إحقاق الحق وليس المراء والمكابرة. ومن كانت طِلبته المراء حاد عن الحق.

وأما التواصل: فمن التفاعل بين الأطراف ويكون بالعبارة والإشارة والخط والحال كما حدد الجاحظ ذلك في البيان والتبيين. فأما العبارة فالمقصود بها الكلام، وتقتضي البلاغة أن يخاطب الإنسان بما يفهم.

وأما الإشارة فتكون بالحركات دون الكلام، وتكون بالرأس واليد والثوب وكل ما يقوم مقامها كالضوء والرسم وغيرها من الإشارات التي تملأ حياتنا المعاصرة من العلامات الدالة على الأشياء في الشوارع والإدارات والمؤسسات.

وأما الخط فيعني الكتابة، وبسببه وصلتنا علوم الأوائل وهو الوسيلة المثلى لتقييد العلم وكتابة الأفكار وحفظها من التغيير والضياع.

وأما الحال: فأن تُبين الأشياء بذواتها وإن لم تُبِن بلسانها، كأن يدل عظم المخلوق على عظمة الخالق. فالمخلوقات من بحار وأنهار وأشجار وغيرها دالة من خلال عظمتها على عظمة خالقها، وهي وإن لم تكلمك عبارةً كلمتك اعتبارًا.

وأما الحوار فَتَبَادُلُ الكلام مع الغير دون سعي إلى الغلبة وقد يكون به الإقناع، إلا أن الاختلاف بينه

وبين الجدل يكون في الطريقة والهدف. فالحوار يطبعه الهدوء ويراد منه تبليغ الكلام، والجدل يطبعه النزاع ويراد منه الغلبة.

ونستدل على هذا الفرق بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾، فالمرأة رفعت صوتها في السياق الأول فسمى الحق سبحانه وتعالى تلك اللقطة جدالًا (قول التي تجادلك) لكن عندما هدَّأ الرسول صلى الله عليه وسلم من روعها وبدأت تتكلم بهدوء سمى الله تلك اللقطة حوارا فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾.

وأما التخاطب فهو تبادل الخطاب بين المتخاطبين إلا أنه يأخذ صفته من خلال طريقة الأداء. فقد يكون التخاطب حجاجيًّا أو استدلاليًّا أو جداليًّا أو حواريًّا من خلال الوسائل اللغوية المستعملة فيه. وهو بعد أداة للتفاعل والتواصل ووسيلة للحوار وتبليغ الرسائل بين الأشخاص.

**2- ما البلاغة؟ وما البلاغة الجديدة؟ هل هما دالان لمدلول واحد؟ أم بينهما فروق جذرية؟**

- البلاغة لغة: من البلوغ والانتهاء إلى المعنى، يقال بلغت إلى الشيء السيئ إذا انتهيت إليه. واصطلاحا: مطابقة الكلام لمقتضى الحال. ومعنى هذا التعريف أن يكون القول مناسبًا لما يقتضي السياق ذكره.

ويجب الفصل بين البلاغة بمفهومها التقعيدي الذي يرى فيها علمًا مشكلًا من المعاني والبيان والبديع كما عرفها العرب ونظر إليها السكاكي في مفتاح العلوم. وجعل كل فرع منها يتفرع إلى عدة محاور فصلها القزويني في الإيضاح بعد ذلك، فاختص علم المعاني بالتراكيب وعلم البيان بالصور البلاغية وعلم البديع بالمحسنات البلاغية، وهي التي وسمها محمد العمري بالبلاغة المُعمّمة والبلاغة بمفهومها العام وهي التي وسمها محمد العمري بالبلاغة العامة. إذ جعل للبلاغة جناحين: جناح التخييل ومنه الشعر، وجناح التداول ومنه الخطابة.

وهذا الفهم يجعل البلاغة أعَمَّ مما ذكره الأوائل إذ ميّز بين البلاغي وهو العارف بعلوم البلاغة، والبليغ وهو المنتج للنص البليغ.

والبلاغة إذن هي القول الاحتمالي المؤثر المتوفِّر على الشروط الجمالية التي تعلو به عن منزلة الابتذال وترقى به إلى مراتب التأثير والجمال.

وأما البلاغة الجديدة فهي بلاغة الحجاج، كما سطرها برلمان Perelman في كتابه «مصنف في

الحجاج: البلاغة الجديدة»، وهناك من ترجمه إلى: المصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة: محمد الولي (2023) وهو كتاب مهتم بفن الإقناع وطرائقه.

وكل حديث عن البلاغة الجديدة لا يخرج عن الحجاج وطرائقه وأساليبه وأنواعه. ولقد سعى الباحثون إلى إعادة الحياة لخطابة أرسطو وجعلها منسجمة مع متطلبات العصر، وحاجة الناس إلى استبدال الحوار بالعنف والإقناع بالقمع، ففصلوا بين الإمتاع والإقناع والمغالطة وتناولوا الوقائع والأحداث والقيم وكل الأمور التي تعين على إنشاء أو تغيير أو تثبيت الاعتقادات وميزوا بين الحوار والجدل والخطابة والسفسطة المغالطية. تجنبًا لتزييف الحقائق والتدليس على المخاطبين، حتى لا يختلط التسلط بالقول مع سلطة القول.

**3- تعلمون أن هناك موجة ثقافية -إن صحَّ هذا التوصيف- شذّ فيها كثير من الدارسين عن التصور التقليدي الذي يختزل البلاغة في بعد وحيد: هو بعد الزخرف والتحلية، وعبروا منه إلى أبعاد أخرى تنفتح على دُنى تواصلية و إقناعية رحبة، أين تكمن أهمية هذا العبور؟**

- إن الحديث عن حصر البلاغة في بعدها الزُّخرُفي التزييني لم يكن وليد اليوم، فلطالما ارتبطت البلاغة بالمحسنات البديعية. لكن أهمية المعنى في القول البليغ لم تكن موضع تساؤل سواء قديمًا أم حديثًا.

لأن الأساس من القول البليغ هو إيصال المعنى إلى المخاطب، لكن صفة البلاغة تتأتى بإيصال المعنى في أحسن صورة. وعلى هذا الأساس ميز الدارسون بين أصناف البلغاء وجعلوهم طبقات ومراتب متفاوتة.

وفي تصورهم أن القول أصناف متفاوتة؛ إذ لا يكفي أن تبلِّغ المعنى كي تكون بليغًا، وإلا لاستوى كل الناس في مراتب البلاغة، وهذا من المُحال. فالناس متفاوتون بتفاوت أقدارهم في التعبير عن المعاني، ولا يكفي أن تستعمل أسلوبًا بديعًا مُزَخرفًا كي تكون بليغًا، بل هنالك أمور تتعلق بالقدرة على تصوير المعاني وتقديمها في صورة أرقى من الابتذال في القول.

ثم إن الكلام قد يكتسب صفة البلاغة في مقام معين وتجده نفسه في مقام آخر، وقد نغَّص عليك وكَدَّر صفوك كما قال الجرجاني.

إلا أن تقديم المعنى في صورة أبهى قد يكون سبيلًا لخدمة أمور أخرى غير الإمتاع، عندما يكون

الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني، أو من المعنى الأول إلى معنى المعنى كما قال الجرجاني، فإن هذا الانتقال جزء من الاستدلال البلاغي كما عبَّر عن ذلك شكري المبخوت في كتابة (الاستدلال البلاغي)، ومن ثمة تنسج جسور للعبور نحو أبعاد أخرى تستفاد من الكلام عن طريق ربطه بالسياق.

فنرى في الصورة -بالإضافة إلى جمالها في الربط بين أعناق المتنافرات- دليلًا على صحة المعنى المراد تبليغهُ. فلو قال القائل: هذا رجل شجاع لكان عبَّر عن المعنى بطريقة لا يستفاد منها غير مضمونها. لكنه لو قال هذا أسد لاستفدنا من التشبيه البليغ شيئًا أكثر من المعنى الأول. ولو صيغ المعنى عن طريق الاستعارة فقيل: لقيت فيه أسدًا، بأن جُعل الرجل أسدًا وحذفت الأداة حتى جعل المستعار منه والمستعار له شيئًا واحدًا، فإن استفادة الشجاعة تكون بطريقة أوكد، لأنه يستحيل أن يكون أسدًا ولا يكون شجاعًا.

ولهذا قُدِّم المعنى مصوراً، فجاء المضمون المراد تبليغه أوكد وأقوى من قولنا هو شبيه بالأسد. ونفهم من هذه الأمثلة وغيرها أن الصورة التشبيهية أو الاستعارية تؤدي المعنى وتقدم الدليل عليه وتحتج له. ويمكن للتوسع قراءة ما كتبه طه عبد الرحمن في (الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج) فهي دراسة تفي بالغرض.

**4- صدرت لكم مجموعة من الأعمال ودبجتم كثيراً من المقالات والإسهامات في موضوع الحجاج منها كتاب «شعرية الإقناع في التراث النقدي والبلاغي» و«بلاغة الحجاج بين التخييل والتدليل» وغيرها. هل لكم أن تنيروا العلاقات المنعقدة بين الحجاج والتخييل؟**

- لقد اشتغلت على هذا المشروع منذ أواسط التسعينيات من القرن الماضي. وكان موضوعًا لأطروحتي لنيل الدكتوراه، عندما بحثت في شعرية الإقناع في الشعر المغربي القديم. والفكرة تقوم على مفارقة بسيطة مفادها أن أس الخطابة هو الإقناع، وأس الشعر هو الإمتاع، وأن الخطابة تقوم على الحجاج بالأدلة أو العواطف كما هو الشأن في الإيتوس أو الباتوس لإيقاع القول موقع القبول في النفوس. وأن الشعر يقوم على التخييل والقدرة على إيجاد صور ذهنية لأشياء غابت عن الحس.

لكن الشعر المغربي القديم وبخاصة زمن الموحدين، أدّى أدوار الخطابة في الدعاية للدولة الموحدية. فوجدت المضامين نفسها في الخطب والقصائد مع اختلاف بسيط في طرائق عرضها؛ إذ تكون الخطب

منثورة والقصائد موزونة.

فكان هذا هو الدافع في البحث عن شعرية الإقناع عندما توصلت إلى أن الشعرية هي ما يجعل من الشعر شعرًا، وقد التزم الشعراء بالوزن والقافية والتصوير، لكنهم ظلوا مرتبطين بالإقناع عندما جعلوا موضوعات الشعر هي موضوعات الخطابة السياسية نفسها. وهذا ما دفع بي إلى البحث في خطابية الشعر وشعرية الخطابة؛ فوجدت مَنْ كتب في المراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية كابن سينا وابن رشد وغيرهم ممن تأثر بخطابة أرسطو، خاصة حازم القرطاجني الذي وفَّر لي زاداً نظرياً نفيسًا في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، حيث قال بالمراوحة بين المعاني الخطابية والمعاني الشعرية في الخطابة لإيقاع الإقناع والتصديق، وفي الشعر لإيقاع القول موقع الانبساط من النفوس.

ثم شاءت الأقدار أن أكلف بتدريس البلاغة منذ التحاقي بكلية اللغة العربية سنة 2000 ثم بلاغة الحجاج بعد ذلك سنة 2004 والتي بقيت وفيًّا لها إلى اليوم. فكانت العناية بالبلاغة من باب التدريس أولًا، ثم صارت تخصصًا لي بعد أن درستها لأكثر من عشرين عامًا.

وكان لبلاغة الحجاج نصيب وافر خاصة بعد إصدار كتاب في التحليل الحجاجي للخطاب تحت إشرافي رفقة زميلي الدكتور سعيد العوادي سنة 2016، والذي عرف نجاحاً كبيرًا ووُزّع في كل المعارض الدولية للكتاب، وتلته بعد ذلك كتب أخرى خاصة (بلاغة الحجاج بين التخييل والتدليل) الذي مزجت بين التنظير والتحليل البلاغي للخطابة والمناظرة والشعر، إيمانًا منّي أن الإشكال اليوم في البحث الأكاديمي يقع في التحليل وليس في التنظير، وهذا ما يفسر اعتمادي الكبير على تحليل الخطابات تحليلًا بلاغيًّا؛ لأن التحليل هو الذي يرتقي بالأعمال ويعطي الكتابة مبررًا.

**5- بم تردون على من يعتمد على حضور بعض مظاهر الحجاج وآلياته لدى كثير من النقاد العرب القدامى كالجاحظ و ابن وهب والسكاكي وغيرهم للقول بأصالة الحجاج وفرادته في الآن نفسه في التداول العربي؟**

- المسألة لا تتعلق بالردِّ على أي كان، لكن إذا فهمت الغاية من قولك فإن حضور بعض مظاهر الحجاج لدى بعض النقاد اتخذه بعض الدَّارسين دليلًا للقول بأصالة الحجاج في التراث النقدي العربي.

أريد بداية أن أقول إن كل خطاب مهما كان نوعه يحمل رسالة يريد تبليغها إلى الغير فهو لا يخلو

من حجاج، وهذه القاعدة العامة تجعلنا نقول إن الحجاج أصيل في الخطاب النقدي والبلاغي العربي، لسبب واحد هو أن كل خطاب يدافع عن فكرة معينة، أي: أنه يستخدم الحجاج والاستدلال لإقناع المخاطبين. ولقد ذكر الحجاج في القرآن الكريم قبل ذلك إذ قال الحق سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ فذكر الفعل (حاج) وأدخل الحجاج بالباطل هنا ضمن الحجاج. ونفهم من الآية أن الحجاج كما يكون بالحق يكون بالباطل، وعندما قال له إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أجابه خصمه ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ فكان هذا الجدال حجاجًا.

ثم إن الثقافة العربية لا تخلو من دفاع عن المعتقدات والأفكار كما هو الشأن في البيان والتبيين للجاحظ والبرهان في وجوه البيان لابن وهب ومفتاح العلوم للسكاكي ودلائل الإعجاز للجرجاني. وسبق للجاحظ أن عرَّف البلاغة بأنها تقوم على (البصر بالحجة)، وبسط في كتابه أنواع الخطاب القائمة على الإقناع فتكلم عن الخطيب والمخاطب والخطاب.

وتوسع في ذكر مقامات الكلام وشروط الإلقاء وأنواع البيان فكان حجاجيًّا بامتياز وقد مزج بين التنظير والتطبيق. ثم ردَّ عليه ابن وهب في كتابه البرهان في وجوه البيان، وتابع الجاحظ في كلامه عن بيان العبارة وبيان الإشارة وبيان الخط وبيان الحال وبيان العقد فأضاف أمورًا أخرى رأى فيها دحضًا لحجج الجاحظ وبديلًا لما قدمه في البيان والتبيين.

وأما السكاكي فيكفي أن أقول إن الفصل الأخير من مفتاحه كان موضوعه (الاستدلال) وهو الذي ختم به.

وبهذا التصور أنتهي إلى أن الحجاج أصيل في الثقافة العربية على مستوى التنزيل العملي في تحليل الخطابة والمناظرة والشعر، وأنه تطور مع الاطلاع على خطابة أرسطو والانفتاح على الغرب من خلال كتاب شايم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتيكا.

ولقد حققت الدراسات الحجاجية طفرة نوعية مع الأطاريح الجامعية التي أنجزت في الموضوع، وما زال يثير فضول الدارسين إلى اليوم.

**6- يعيش الناس اليوم تواصلًا حيويًّا ودائبًا بفعل وسائل التواصل الاجتماعي، هل هم مفتقرون إلى الحجاج أم إن تواصلهم ينجبر ويستقيم من غير حجاج؟**

- أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي مسألة واقعة ينبغي القَبول بها والتعايش معها. وعندما

نتحدث عن التواصل فإننا -ضمنيًّا- نتكلم عن خطابات تُمرر للناس بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ولكل شخص أن يؤولها بطريقته الخاصة. لكنها في الحقيقة لا تخلو من حجاج، فهي تعبر عن فكر من يستخدمونها، كما أنها تحمل إشارات مباشرة أو ضمنية يمكن التعامل معها عن طريق ربطها بالسياق، فاللغة تحمل سمات من يتكلمونها. وحتى لا نضع كل البيض في سلة واحدة فإن الرسائل المتحصلة من وسائل التواصل الاجتماعي تتفاوت حجاجيًّا وبلاغيًّا بتفاوت أصحابها. فعندما أقرأ لإنسان عارف بما يقول، لا يتساوى مع خطاب يُلقى على عواهنه.

**7- هل يغالي من يقول بوجود مدرسة عربية حديثة في حقل الحجاجيات الفسيح، قوامها عدد غفير من الكتاب والباحثين ممن أغنى المكتبة العربية؟**

- لا أظن أنه من المفيد أن ننسب ذلك إلى المغالاة. لكن الحقيقة أن الخزانة العربية عرفت طفرة نوعية في البحث الحجاجي سواء بالترجمة أو التأليف. ونالت بعض المشاريع المغربية جوائز عربية دولية في ذلك، تقديرًا لها على ما راكمته من معرفة، وتعلمون أن التحولات العلمية لا تأتي فجائية، بل تقوم على التراكم المعرفي. والأكيد أن هذه المؤلفات مفيدة جدًّا لتحقيق ذلك. لكنها في المقابل تتضمن الغث والسمين، وهذه هي سنة الحياة.

ويبقى الحديث عن المدرسة العربية رهينًا بما يقدمه العرب في هذا الميدان. ولا يمكن في المقابل أن تتجاهل ما قدمه كبار الباحثين في البلاغة أمثال حمادي صمود ومحمود شاكر وجابر عصفور ومحمد العمري ومحمد الولي ومحمد مشبال وابن ظافر الشهري وسعيد العوادي وعبد العزيز لحويدق وعادل عبد اللطيف وغيرهم من الأسماء التي قدمت أعمالًا تليق بالدرس البلاغي، ولا يتسع المقام لذكر الكل. ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أنوِّه بما يبذله الدارسون شرقًا وغربًا مما يشعرنا بالحياة والحيوية ويبشر بمدرسة عربية أصيلة في البلاغة عمومًا والحجاج على وجه التخصيص.

8- ختامًا، بم تنصحون الباحثين الشباب المهتمين بالحجاج دراسةً وتطبيقًا على مختلف الخطابات؟

- إن كان لي أن أقدم نصيحة فهي التريث قبل الكتابة، أو لنقل القراءة قبل الكتابة. فالكتابة تفنى فيها الأعمار ولذلك تتطلب عُدَّة قوية ومناسبة وصبرًا كبيرًا على معاناة التأليف. وبالقدر الذي أحترم فيه من يكتب لأنه يكابد الكتابة والقراءة معًا، بالقدر الذي ينبغي التصدي لمن يسيئون للدرس البلاغي بمشاريع وهمية يراد منها الإثارة وكسب المنافع الآنية غير العلمية

بالتضليل والمغالطة، وأولئك الذين لا يعجبهم أي شيء فتراهم ينتقدون كل ما يكتب بدافع الحقد والضغينة، فيذمون ما يعجزون عن فعله. فلا هم يكتبون ولا هم يتركون من يكتب، ولقد ابتلينا في عصرنا هذا بمن ينفث سمَّه في وسائل التواصل الاجتماعي بالتنقيص من كل الأعمال والمشاريع دون تقديم أي بديل يذكر.

وأهمس في آذان هؤلاء إن النقد البناء يعني تقديم البديل ومعاناة القراءة والكتابة، وما عدا ذلك فهو نقد هدَّام لا يقوم على أسس واضحة. فإذا عقمتم عن الكتابة فلا تذموا من يكتب، وإذا رأيتم فيما يكتب استسهالًا فإننا ننتظر منكم عملًا رصينًا يُنْتفع به. وإنني أفضل استمرار التأليف على العقم المبرر بالتريث وانتظار الوقت المناسب الذي لا يأتي أبدًا، فالنجاحات تولد من رحم المعاناة، والتجارب الكثيرة هي التي تؤدي إلى النتائج الخالدة. والكمال لله من قبل ومن بعد.